أهمية القيم الدينية في تحقيق الضبط الاجتماعي

د. محمد ورنيقي
جامعة الأغواط – الجزائر
– د. بشير بن لحبيب
مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط

الملخص:

لقد تبين للمنصفين في العالم أن في التدين عموما وفي الالتزام بالشريعة الإسلامية خصوصا، حماية من كل مظاهر الجريمة المتفق على ذمها والمختلف فيها، ولا يزال المنظرون النقاد يشيدون بذلك حتى أقر ذلك المجلس الاقتصادي الاجتماعي التابع للأمم المتحدة سنة ١٩٨٤م حيث جاء في البند ٣٧ منه: «إن عملية التحول الملحوظة إلى النزعة الدنيوية والتخلي عن المعتقدات الدينية، تساعد وتَدْعم في بعض الحالات فقدان القيم الاجتماعية التقليدية والاستعاضة عنها بمواقف فردية وانتهازية... لقد لعب الدين دائما في بعض المجتمعات دورا هاما في الضبط الاجتماعي، بتحديده ما هو المباح وما هو المحرم، ولكن عندما تفقد المؤسسات الدينية سلطتها أو بالأحرى دورها على الأفراد، ولا يظهر اعتقاد آخر قادر على تولي وظائف الضبط التي كان يقوم بها الدين حتى ذلك الحين، فقد يجد الأفراد أنفسهم مبلبلين فاقدي الاتجاه فيصبحون بسبب ذلك أكثر ميلا إلى الانغماس في تصرفات غير اجتماعية ومنحرفة».

Résumé :

J'ai trouvé que lorsque la foire dans le monde que la dette globale de l'engagement à la loi islamique, en particulier, la protection de tous les aspects du crime convenu et litigieux, pas des théoriciens critiques saluent encore même reconnu que le Conseil économique et social des Nations Unies en 1984, où il est venu à l'article 37 de celui-ci: «le processus de transformation remarquable à la tendance mondaine et d'abandonner leurs croyances religieuses, l'aide et le soutien dans certains cas, la perte des valeurs sociales traditionnelles et les remplacer par les positions des

particuliers et des opportunistes... la religion a toujours joué dans certaines sociétés un rôle important dans les milieux sociaux, en sélectionnant ce qui est permis et ce qui est interdit , mais quand vous perdez l'autorité religieuse des institutions ou plutôt son rôle sur les individus, et non pas une autre croyance est en mesure de prendre en charge les fonctions de contrôle qui a été effectuée par la dette jusqu'à ce que apparaisse alors, ont les individus se trouver une direction incompétente Mbulbulan et devenir à cause de cela plus enclins à se livrer à des actions de non- sociale et déviante ».

مقدمة :

يعتبر الضبط نظام كوني تنتظم به العلاقات وتتحدد في ضوئه الأدوار، وبه كانت بداية خلق الكون ومجراته قال تعالى: **(أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا) (رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا) (وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا)** (النازعات، الآية ٣٧– ٢٩) والضبط نظام يشمل كافة المخلوقات ابتداء بالإنسان وانتهاءً بالجمادات والنباتات والحيوانات وسائر المخلوقات، ولكون الإنسان أكرم هذه المخلوقات قال تعالى: **(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)** (الإسراء: ٧٠)

ولما كان الأمن الاجتماعي مطلبا ضرورياً لا غنى عنه لكل المجتمعات الإسلامية منها وغير الإسلامية على حد سواء، ذلك لأنه لا يتحقق للناس عيشاً هنيئاً دون وجود الأمن، ولا شك أن الإسلام بتشريعاته المعجزة قد كان له السبق في تحقيق هذا المطلب، واتخذ لذلك جملةً من الوسائل لعل من أبرزها مؤسسات الزكاة والوقف والمسجد وما لهم من دور في القضاء على كل ما يقف في وجه الأمن الاجتماعي من جرائم وعنف وتطرف وتسول وسرقات وانتشار للفواحش، ذلك بأن هذه المؤسسات من شأنها أن تقضي على كل مسببات هذه الانحرافات الخطيرة ويبدد آثارها كالفقر والبطالة والحاجة والعوز.

لهذا جاء البحث في بيان أهمية القيم الدينية في تحقيق الضبط الاجتماعي وما تقدمه من حل سريع ومختصر لإنقاذ المجتمع من كل عوامل الخوف والفزع وتوفير الوقت والجهد في تطهير المجتمع من كل عوامل الانحراف والرذيلة.

<u>أولاً</u>: تحديد المفاهيم: (مفهوم الدين، القيم الدينية، الضبط الاجتماعي)

١– مفهوم الدين :

أ– تعريف الدين لغة:

عند الرجوع **إلى المعنى اللغوي** لكلمة الدين نجد أنها تعني ثلاثة معان تكاد تكون متلازمة وهي:

– تؤخذ من فعل متعد بنفسه " دان هي دينه " أو "دان هدينا " وتعني بذلك ملكه وحكمه وساسه ودبره وقهره وحاسبه وقضى في شأنه، ومنه فالدين من خلال هذا المعنى يدور ضمن معنى: الملك والقهر والمحاسبة والمجازاة والقضاء.

– وتأت من فعل متعد باللام " دان له "ومعناه أطاعه وخضع له، أي أن الدين وفق هذا الاستعمال يعني الخضوع والطاعة والعبادة والورع.

– وتأت من فعل متعد بالباء " دان به " أي اعتقده واعتاده، وهو بهذا الاستعمال يعني العقيدة والمذهب.

ومنه فكلمة الدين في اللغة يراد بها: الملك والقهر والطاعة والعبادة والعادة والملة والسلطان والمذهب والجزاء... وهي كما يشير **دراز** تدور حول معنى لزوم الانقياد، ففي الاستعمال الأول هي إلزام بالانقياد وفي الاستعمال الثاني المبدأ الذي يلتزم الانقياد له

ب- التعريف الاصطلاحي:

يعرف **محمد دراز** بأنه " الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة، هذا من حيث هو حالة نفسية، ومن حيث الحقيقة الخارجية فهو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العلمية التي ترسم طريق عبادتها

أما **إبراهيم البيجوري** فيعرفه بكونه " وضع الهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات

٢. القيم الاسلامية :

١,٢. مفهوم القيم :

*** معنى " القيم لغة ":**

القيمة: مفرد " قيم " لغة " من " قوم " و" قام المتاع بكذا أي تعدلت قيمته به ".

والقيمة: الثمن الذي يقوم به المتاع، أي يقوم مقامه، والجمع: القيم، مثل سدرة وسدر، وقومت المتاع: جعلت له قيمة.

***والقيمة في اللغة تأتي بمعان عدة :**

– تأتي بمعنى التقدير، فقيمة هذه السلعة كذا، أي تقديرها كذا.

–وتأتي بمعنى الثبات على أمر، نقول فلان ماله قيمة، أي ماله ثبات على الأمر.

– وتأتي بمعنى الاستقامة والاعتدال، يقول تعالى " **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم** " أي يهدي للأمور الأكثر قيمة، " أي للأكثر استقامة ".

*** معنى " القيم " اصطلاحا:**

نظراً لأن مصطلح " القيم " يدخل في كثير من المجالات، فقد تنوعت المعاني الاصطلاحية له بحسب المجال الذي يدرسه، وبحسب النظرة إليه.

- فعند علماء الاقتصاد هناك قيم الإنتاج وقيم الاستهلاك، وكلٌ له مدلوله الخاص.
- وعند علماء الاجتماع: القيمة هي الاعتقاد بأن شيئاً ما ذا قدرة على إشباع رغبة إنسانية، وهي صفة للشيء تجعله ذا أهمية للفرد أو للجماعة، وهي تكمن في العقل البشري وليست في الشيء الخارجي نفسه. (طهطاوي، ١٩٩٦، ٤٠)
- وعند الفلاسفة تعد القيم جزءاً من الأخلاق والفلسفة السياسية.
- أما المعنى الإنساني للقيمة فيتمثل في أنها هي المثل الأعلى الذي لا يتحقق إلا بالقدرة على العمل والعطاء.
- وفي الرياضيات تستخدم القيمة للدلالة على الكم لا على الكيف.
- أما المعنى الفني لكلمة " القيمة " فهي تجمع بين الكم والكيف، وتعبر عن العلاقات الكمية التي بين الألوان والأصوات والأشكال، فالقيمة الفنية للرسم مثلاً تتألف من النسب بين الظلال والأضواء والألوان.

٢,٢. مفهوم القيم الاسلامية:

القيم الإسلامية هي القيم المستمدة من الدين الإسلامي الحنيف الذي يعتبر " الحسن " هو ما وافق شرع الله واستوجب الثواب في الآخرة، ويعتبر " القبيح " هو ما خالف شرع الله ويترتب عليه العقاب في الآخرة.

٣,٢. مجالاتها:

تشتمل القيم الإسلامية جميع مناشط الحياة، وجميع مناحي التفكير والاعتقاد، وجميع العلاقات التي تربط المسلم بخالقه وبغيره من البشر، بل وبالكون جميعاً.

ويمكن تصنيف أهم المجالات التي تشملها القيم الإسلامية إلى ما يلي:

– **مجال العقيدة:** فالمسلم مطالب بأن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ومطالب بأن يقر بأن الدين عند الله الإسلام وأنه خاتم الأديان، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والرسل، أنزل الله عليه القرآن وحياً، وهو المصدر الأساسي والأول للشريعة، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم

المصدر الثاني.. الخ، وكل أولئك قيم حاكمة على العبادات والمعاملات، يدين بها الفرد وينهض لها، وتحرص الجماعة على غرسها صحيحة في نفوس أفرادها، وتتصدى لمن يهملها ويتهاون فيها، ولمن يشوهها وينحرف عنها.

– **مجال علاقة الفرد المسلم بغيره من البشر:** إذ يجعل الإسلام حسن الخلق جزءاً لا يتجزأ من التدين، ومن هنا تفسير دعوة الإسلام إلى الالتزام بقيم الآداب والتوافق السلوكي معها فيما جاء به الأمر من صدق القول والفعل في السر والعلن، والأمانة والعفة والإخلاص وطهارة اليد واللسان وحسن الظن وإتقان العمل وصلة الأرحام وتوقير الكبار ورحمة الصغار ... الخ، وفيما جاء به النهي عن أضداد هذه من قبيح الخصال والموبقات، ومن منظور البدائل – كمثال – نجح الإسلام في تحديد الدوائر العامة والخاصة للحديث كقيمة اجتماعية، فهو يجعل حرية القول قيمة إلا أن يكون فاحشاً وكذباً أو غيبة أو نميمة.. الخ، ويجعل سفك الدماء عملاً قبيحاً ومرفوضاً إلا أن يكون قصاصاً وعقوبة، ثم يدعو ولي القتيل إلى العفو ويعده أكبر قيمة من القصاص " وأن تعفو أقرب للتقوى ".

– **مجال علاقة الإنسان بالكون:** إذ يجعل الإسلام النظر في ملكوت الله والتفكر فيه قيمة، يدعو إلى الحرص عليها بما يترتب فيه من إعلاء قيم العلم وكشف أسرار الله في الأرض وفي السماء، وللإسلام قيم تتعلق بالتعامل مع الحيوان والنبات ومع الجماد لخير البشرية، ونصوص القرآن والحديث النبوي الشريف في كل أولئك ماثلة شاهدة.

٣– مفهوم الضبط الاجتماعي :

ويشير مفهوم الضبط الاجتماعي من وجهة نظر المنظومة الاجتماعية الى مختلف القوى التي يمارسها المجتمع للتأثير على أفراده ويستعين بها على حماية مقوماته والحفاظ على قيمه ومواصفاته، ويقاوم بها عوامل الانحراف ومظاهر العصيان والتمرد، فينطوي مفهوم الضبط على تقرير العلاقة بين الفرد والنظام الاجتماعي، وعلى كيفية تقبل الأفراد وفئات المجتمع للطرق والأساليب التي يتم بها الضبط

أما التعريف الإجرائي فإن الضبط الاجتماعي هو سمة ملازمة لكل المجتمعات الإنسانية، لضبط تجمعاتهم وتنظيم قواعد التوافق بين معايير الفرد الذاتية والقيم الاجتماعية، وظهرت أشكاله المباشر وغير المباشر في توجيه سلوك الأفراد الذين تتجاذبهم الغرائز والأهواء والدوافع والرغبات المختلفة.

ثانياُ: الدين وظيفته الضبط الاجتماعي :

يعتبر الدين أهم وأقوى وسيلة من وسائل الضبط، من خلال ما يقوم به من وظائف في حياة الفرد والمجتمع واستقرار النظم الاجتماعية، ولذلك اهتم علماء الاجتماع بدراسته ووضعه على قمة النظم الاجتماعية. والدين نظام اجتماعي شامل لا يسمح لأي فرد أن يكون له رأيا خاصا فيه، او يسلك سلوكا خارجا عليه. فالدين يضبط سلوك الأفراد في المجتمع بالثواب والعقاب لا في الحياة الدنيا فحسب بل في الدار الآخرة أيضاً. فالتدين علاقة شخصية بين العبد وربه، وجزاءه مؤجل لما بعد الموت، فإن المجتمع لا يترك الفرد لهذا الجزاء بل يوقع جزاءاته ويزاول ضغوطه بالتبشير والوعظ والتخويف، ليصبح الدين بذلك أداة ضبط اجتماعي، لها فاعليتها في ضبط سلوك الأفراد،

فحياة الجماعة والتنظيم الاجتماعي لا يمكن أن يستقرا بفعل قوة القوانين الوضعية فقط، بل لابد من الردع الروحي والإيمان بالقيم الاجتماعية والخوف من غضب الله، وبالتالي يصبح لهذه السلطة الروحية قوة تفوق قوة القانون وأحكامه أو مظاهر السلطة المادية الأخرى.

ويبرز أثر الدين وبالذات الدين الإسلامي كأداة ضبط فيما يشتمل عليه من تعاليم تمثل في مجملها مجموعة من الضوابط تظهر في العبادات المتعلقة في العلاقة بين العبد وخالقه سبحانه وتعالى، وفي المعاملات التي تعكس العلاقة بين الأفراد.

من الدعائم التي يعتبرها(الماوردي) ضرورية للضبط الاجتماعي ستة أمور هي: "دين متبع وسلطان قاهر وعدل شامل وأمن عام وخصب دائم وأمل فسيح"، وقد أطلق عليها الماوردي قواعد للضبط، ويأتي الدين كأبرز هذه القواعد ليؤدي وظيفتين يعمل بهما لاستقرار النظام الاجتماعي، وظيفة اجتماعية وأخرى فردية، فالدين من وجهة نظره يمارس ضبطا ذاتيا على الفرد، من حيث تهذيب نفسه وتخليصها من شوائب السلوك اللاسوي وبخاصة السلوك الإنحرافي، بتوافر قدرة عالية لدى الفرد في ضبط النفس والسيطرة عليها ومحاربة نزعتها الشهوانية، ولكنه في نفس الوقت يسعى لإحداث التوازن داخل النفس فلا يسعى الى حرمانها من كل متطلباتها، بل لابد من توفير ما تحتاج إليه من الضروريات كشرط أساسي لإصلاح الفرد وضبط سلوكه وتصرفاته، فالخلق هو الدعامة الأولى لبناء المجتمع المتماسك عاطفيا وفكريا لتتحقق وحدة الجماعة وتكامل شخصيتها.

وقد كان الدين في السابق المصدر الأساس للقانون، وبالتالي فهو وسيلة ضبط مهمة في المجتمع فالقانون المصري والبابلي والهندي واليوناني كان ينظر إليه على انه من صنع الآلهة، كما أن الكنيسة كانت في أوربا قوة اجتماعية تفوق قوة الدولة.. وفي العصر الحديث بالرغم من أن الدين والدولة يعملان بشكل مستقل في كثير من دول العالم إلا أن الدولة لا تزال تستند بسلطتها الى الكثير من القواعد الدينية ذات التأثير الاجتماعي كأمور الزواج والأحوال الشخصية وبعض أنواع السلوك الاجتماعي.

والدين اذاً من النظم الاجتماعية المهمة لأنه يقوم بوظائف في حياة الناس تعزز الاستقرار والنظام، ولأنه عقيدة أساسية بما يحمله من معان أخلاقية. والدين الإسلامي أسمى الأديان وخاتمها يحوي الكثير من التعاليم الدينية التي تحث على الابتعاد عن الاعتداء والسرقة او قتل النفس، والابتعاد عن الفواحش والمحرمات والفتنة والغش... وهذه كلها لها آثارها التربوية فهي ضوابط اجتماعية وقائية ضد الجريمة والانحراف والمخالفة.

وقد أدرك ابن خلدون الدور الذي يؤديه الدين في عملية الضبط الاجتماعي. لكونه يمارس نوعا من الرقابة على سلوك الناس، وتمتد هذه الرقابة في السر والعلن، وهذا ما يميز الدين عن القانون، فالفرد يمتثل للمعايير التي يفرضها الدين والتي تحدد الثواب والعقاب لجميع الأفعال والتصرفات التي يؤديها أو يمتنع عنها.

وتجاوزت ضوابط الدين الحدود الضيقة لمفهوم الدين – من كونه ممارسة تعبدية لبعض الشعائر والمعتقدات محكومة ببعض الضوابط الملزمة لأفرادها المعتقدين بها، وبالتالي يخضعون الى طائلة العقاب عند تجاوز الحدود المقرة عقائدياً – وأضحت مؤثرة في جميع مجالات الحياة الثقافية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وقد بينت د. سلوى سليم ذلك عندما فسرت العلاقة بين الضبط الديني وبعض هذه المجالات، فالضبط الديني يؤثر تأثيراً مباشراً وفعالاً في ثقافة المجتمعات ويعمل على توارثها. وعن علاقته بالاقتصاد نجد ان الدين الإسلامي وضع الأحكام وأصول التشريعات المنظمة لحياة الإنسان، فأقرت الملكية الفردية وفتحت المجال أمام المنافسة والعمل على التفوق، وجعلت العلاقات الاقتصادية بين الناس تقوم على دعائم متينة من الصدق والأمانة والإخلاص والتعاون والعدل والتواصي بالبر والإحسان والتكافل. وفي الجانب السياسي نجد للضبط الديني أهمية كبرى في إقرار العدالة والتماسك الاجتماعي، وفي مجال التربية وهي عملية اجتماعية تكيف سلوك الأفراد ومواقفهم ليتمشوا ويسايروا القوالب والأنماط الثقافية والضوابط الاجتماعية التي ارتضتها الجماعة. كما أن من شأنها أن تبذر في نفوس أفراد الجماعة الخوف من العقوبة الإلهية، وهذا الخوف هو الكفيل للامتثال للضوابط الدينية المقدسة التي تنظم الحياة الاجتماعية.

ثالثـاً: الوازع الديني ودوره في تحقيق الضبط الاجتماعي

خلق الله سبحانه وتعالى النفس البشرية وهي تحمل نوازع الخير والشر، قال تعالى(**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا**) (**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**) (الشمس: ٧- ٨) وقال تعالى (**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا**)(**وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**) (الشمس: ٩- ١٠) وجعل سبحانه الفلاح والخيبة مرهونة بسعي الإنسان لتزكية نفسه او الانحطاط بها الى مهاوي الرذيلة، والإنسان منذ بدء الخليقة خُيّر بين طريقين طريق الخير ام طريق الشر، ومن ذلك تبدأ رحلة المعاناة التي يعيشها الإنسان بين نوازع الخير والشر في نفسه ولا بد له ان يستعين عليها بما وهبه الله من نعم حتى يختار طريق الهداية. قال تعالى (**أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ *وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ *وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**)(البلد: ٨- ١٠)

ولذا فقد قرر الإسلام ثلاثة ضوابط اجتماعية يشكل مجموعها منهجا متكاملا لاستقرار المجتمع، منها ما سبقت الإشارة إليه وهو الضابط الذاتي في داخل النفس الإنسانية، يتحقق اذا تمكنت تعاليم الشريعة من نفس الفرد بحيث تشكل ضابطا خلقيا يحاكم الإنسان نفسه بنفسه، والضابط الثاني هو ضابط اجتماعي مصدره المجتمع، يتكون من خلال إشاعة المعروف والأمر به ومحاربة المنكر والنهي عنه قال تعالى (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**) (آل عمران: ١١٠)، حتى تصبح محددات السلوك المقبول في المجتمع والسلوك المرفوض فيه جزء من معايير الضبط داخل المجتمع، أما الضابط الثالث فهو ضابط السلطة حيث تتولى تطبيق العقوبات الشرعية المقررة لأنواع المخالفات. وهذه الضوابط تتكامل لتحقيق المعاني الإسلامية لتصبح الحياة بها أقرب الى الكمال والسعادة والحضارة والرخاء والطمأنينة.

وقد قسم بعض المفكرين الضبط الاجتماعي الى نمطين، هما: الضبط الشعوري والضبط اللاشعوري، ويسمى بالضبط الداخلي وهو تلقائي نما تدريجياً وتلقائياً من خلال بعض التفاعلات الاجتماعية التي تبلورت ثم تصلبت تدريجيا فأصبحت قواعد راسخة وجزءاً لا يتجزأ من شخصية الفرد، وهذا النوع من الضبط هو أفضل أنواع الضبط بسبب الطاعة الصادرة عن رغبة مما يسهل تطبيقه لأنه لا يحتاج الى مؤسسات رسمية تشرف على تطبيقه، وهو كما سبق " ضبطا داخليا لا شعوريا" يصدر عن مشاعر الفرد ورغبته وليس خوفا من سلطة او قانون معين.

ومثل هذا النوع من الضبط تحكمه عوامل مختلفة كالدين والعادات والتقاليد والأعراف والقيم، وقواعد السلوك في الأسرة وقواعد التعامل داخل المجتمع. ولكن يأتي الدين كذروة السنام لهذه العوامل، رغم أن العديد من هذه العوامل يدخل في دائرة الدين لأن العادات والأعراف والقيم تعد مصدراً من مصادر التشريع في الدين الإسلامي.

رابعا: الضروريات الخمس وتشريع الحدود:

إن أركان الإسلام كما سبقت الإشارة شواهد حية على أن الضبط ليس سلطة الحاكم والقانون بل هي سلطة النفس متى ما استشعرت حقيقة وجودها في هذه الحياة. ولكن هل الجميع يعي ويدرك هذه الحقيقة بالطبع لا،

فالإنسان ولد على الفطرة ولكنه يقابل بتأثير عوامل الشر والفساد المتمثلة في الشيطان والهوى والشهوات وقد لا يستطيع المقاومة وبذلك يتم ردعه ورده إلى طبيعته، ولذلك كانت الحكمة الإلهية في تشريع الحدود لإقامة العدل في الأرض، وقد وردت النصوص القرآنية والنبوية في تحديد ضوابط الشرع وآلياته منطلقة من الحفاظ على الضروريات الخمس (الدين والنفس والعقل العرض والمال) التي أقرتها الشريعة الإسلامية.

فالدين الحق مصلحة ضرورية للناس لأنه ينظم علاقة الإنسان بربه وعلاقته الإنسان بنفسه وعلاقته بمجتمعه، قال تعالى: **(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** (آل عمران: ٨٥). وحفظ النفس وهي ذات الإنسان في الإيجاد والتكوين والحفظ والرعاية، فلإيجادها وتكوينها شرع الزواج للتوالد والتناسل لضمان البقاء الإنساني وتأمين الوجود البشري من أطهر الطرق وأحسن الوسائل، وحرم الزنا والأنكحة الجاهلية. وكفل الإسلام حسن بقائها وانتظامها من خلال رعايتها الصحية والنفسية، كما حرم في سبيل ذلك قتل النفس فشرع القصاص في النفس والأعضاء، قال تعالى: **(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)** (البقرة: ١٧٩). وكون العقل أسمى شيء في الإنسان فقد كفل الإسلام حفظ العقل لأنه أعظم منحة من الله للإنسان ليرشده الى الخير ويبعده عن الشر ويكون معه مرشداً ومعيناً. والعقل مناط التكريم والتكليف، فمنح الإسلام حرية إعمال العقل في كثير من شؤون الحياة وليس أدل من ذلك ما قرره الإسلام من حق الاجتهاد والإجماع في أمور الدين والدنيا. وللحفاظ على العقل دعا الإسلام الى الصحة الكاملة في الجسم فحرم الخمر وحدد أحكام المميز والمعتوه والمجنون وأحكام السفيه والمبذر. وحفظ العرض ضرورة إسلامية ففيه حفظ للنسل من التعطيل ويعتمد على حفظ العرض لتنأى الإنسانية بنفسها عن النكبات والويلات والأمراض الاجتماعية والنفسية. وشرع الإسلام أحكاماً كثيرة للحفاظ على النسل والعرض تبدأ بغض البصر ومنع القذف والإساءة للعرض.. فأقام حد القذف وتنتهي بحد الونا المحصن وغير المحصن. أما حفظ المال كونه وسيلة أساسية تساعد الناس على العيش وتبادل المنافع والاستفادة من جوانب الحياة الكثيرة، فقد شرع الإسلام في سبيل الانتفاع بالمال المعاملات الشرعية التي تكفل الحصول عليه وتوفيره للمسلم والتبادل به كالبيوع والهبة والشركات والإجارة وسائر العقود المالية، كما شرع الإسلام حفظه وحمايته ومنع الاعتداء عليه فحرم السرقة وأقام حدها، وحرم قطع الطريق وأقام حد الحرابة، وأرشد الإسلام إلى حسن استعمال المال والتصرف فيه وحرم الغش والتدليس والاحتكار وحرم الإسراف والتقتير في الإنفاق.

وبذلك نلاحظ أن الإسلام شرع لكل مصلحة ضرورية ضوابط تكفلها وترعى حفظها وصيانتها.

خامسا: دور المؤسسات الدينية في مكافحة الإجرام وارساء الأمن الاجتماعي

١- دور المجسد في مكافحة الإجرام :

يعتبر الخطاب المسجدي أهم وسيلة إعلامية أمنية على الإطلاق، حيث يلعب دورا هاما في مكافحة والقضاء على الجريمة، إذا تم استغلالها في خدمة القضايا الأمنية، عكس الوسائل الإعلامية الأمنية الأخرى التي تخفف من الجريمة ولا تقضي عليها، فالجرائم والأحداث التي تخل بالأمن يمكن أن تعالج يوم الجمعة داخل المسجد، والذي يقوم بهذه الوسيلة هو خطيب أو إمام المسجد، ففي خطابه الذي يتضمنه النصح والإرشاد والترغيب والترهيب يمكن القضاء على مسببات الفتنة وعلوج الضلال، لأن الخطباء وأئمة المساجد لهم مكانة اجتماعية خاصة، في قلوب أفراد المجتمع وهم يؤثرون فيهم تأثيرا بالغا.

ففي الخطاب المسجدي يمكن أن يذكر الخطباء والأئمة المخاطر التي تسببها مثلا السرقات وحوادث المرور وتعاطي الخمور وتناول المخذرات، مع الاستشهاد بالأرقام الإحصائية، وذكر عاقبة من يقوم بتلك الأفعال والأعمال في الدنيا والآخرة، ولهذا فإن التوعية الأمنية من خلال الخطاب المسجدي لها دور ايجابي، ولكن وللأسف لم تفعل بصورة ايجابية في الدول العربية والجزائر خاصة، فالقائمين على هذه القناة التواصلية أهملوها، رغم ان المجتمع الجزائري من المجتمعات القليلة التي تتميز بالوازع الديني القوي، يضاف إلى ذلك ضعف بعض الخطباء علميا وإعلاميا في تبليغ رسالة المسجد والممثلة في الخطاب المسجدي وعدم طرقهم للمواضيع التي تحتاجها الأمة.

ويبقى الخطاب المسجدي أهم وسيلة إعلامية أمنية تؤثر في الأشخاص تأثيرا مباشرا، لأن خطبة الجمعة تجد المتلقين (المصلين) مستعدين لتلقية الخطبة، فكل قنوات الاتصال جاهزة في المسجد، البصر والسمع ويضاف إلى ذلك الحضور الذهني والهدوء لطبيعة المكان، كما أن الوازع الديني يحتم على المتلقي (المصلي) أن لا يلهو أو يعبث أو يكلم زميله عكس الوسائل الإعلامية الأخرى، هذا ما يجعل الخطاب المسجدي، أهم وسائل الإعلام على الإطلاق في ارساء الضبط الاجتماعي على وجه الخصوص

ويمكن للخطاب المسجدي أن يحقق الأمن وذلك بالتركيز على عدد من القيم والمبادي والمثل العليا منها:

أ) الحث على المودة والرحمة، تحقيقا لقول الرسول صل الله عليه وسلم " المؤمن للمؤمن يشد بعضه بعصا" (رواه البخاري) وتحقيق للتوصيف الرباني للمجتمع المسلم: " **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** " (سورة الفتح الآية ٢٩) ولقوله تعالى " **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فضا غليظ القلب لانفضوا من حولك**" (سورة آل عمران الآية ١٥٩).

ب) تنمية روح التعاون بين أفراد المجتمع تحقيقا لأمره تعالى " **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**" (سورة المائدة، الآية ٢)

ج) غرس روح الأمل وبيان أنه يكون للعسر بكرم الله ورحمته، وما يناسبه ويخففه من اليسر تماشيا مع قوله تعالى " **فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا**"

د) تعزيز مسعى المصالحة، وزرع قيم الصفح والتسامح مصداقا لقوله تعالى: " **وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أنم يغفر الله لكم والله غفور رحيم** " (النور، الآية ٢٢)

هـ) بيان موقف الإسلام من قيم أساسية كالجهاد وحقوق الإنسان واحترام الإسلام لكرامته، ونفي تهمة الإرهاب على الإسلام والمسلمين، من خلال الدلالات الإنسانية الواضحة لمفهوم الإرهاب في الإسلام، باعتباره من أسلحة الردع، والانتصار على الأعداء بالرعب، وتوازن القوى تطبيقا لقوله تعالى " **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ورباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** " (الأنفال، الآية ٦٠)

و) الحث عل التمسك بالأخوة الإسلامية، والتحذير من التنازع باعتباره بابا من أبواب الفشل والخسران والبعد عن الدين الحق، حيث قال تعالى: " إن الذين فرقوا دينهم كانوا شيعا ليس منهم في شيء " (الأنعام، الآية ١٥٩)

ز) التشجيع على ممارسة الإصلاح، والسعي بين الناس بالخير والمعروف

-2دور مؤسسة الوقف في الوقاية من الانحراف:

يعد الوقف أصدق تعبير للصدقة التطوعية الدائمة، ووجها من أوجه الرعاية الاجتماعية، فنظام الوقف مصدر مهم لحيوية المجتمع وفاعليته، حيث أسهم بشكل كبير في التنمية الاجتماعية في كل البوادي والمدن الإسلامية، فهو احد الأسس المهمة للعناية الإسلامية بأبعادها المختلفة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية.

حيث كان له دور بارز في الاعتناء بشريحة الأطفال وذلك من خلال تشييد صروخ العلم والثقافة والدين التي تساهم في التوعية الصحيحة للنشء، وتعنى بتعليمهم القرآن الكريم ومبادئ علوم الدين والرقي بمستوى فكرهم والعناية به.

زد على ذلك ما للمسجد باعتباره المؤسسة الدينية الأولى في الإسلام من دور مهم في العناية بتربية الأطفال وتقويم سلوكهم وتوجيهه نحو الطريق السليم، من خلال التأثير الطيب للخطيب أو الواعظ في نفوسهم، واهتمامه بزرع القيم النبيلة التي ستنمي عقولهم وتعكس صورة طيبة عن شخصيتهم، كما أن المساجد أطهر مكان تتواصل فيه روح الطفل مع ربه، ما يجلها أكثر صفاء وعلى ارتباط متواصل مع الخالق، الأمر الذي يكون له بالغ الأثر في الاعتناء بتلك الروح وضمان حسن نشأتها.

ولا يقتصر الوقف على بناء المساجد فقط بل يهتم أيضا بالجانب التثقيفي الديني، وذلك من خلال إنشاء المدارس العلمية الراقية والتي يكون فيها التعليم مجانيا ويشمل مختلف الطبقات وقد كانت لمصروفات وإنفاقات هذه المؤسسات الطبقات الخاصة التي تساهم في تنشيط الحركة العلمية، ونشر التعليم والارتقاء والاعتناء بالمستوى الثقافي والأخلاقي للنشء.

بالإضافة إلى إنشاء المكتبات الوقفية وفتحها في وجه الأطفال وتشجيعهم للتعود على ارتيادها قصد الاستفادة والتعلم.

واهتمت أيضا مؤسسة الوقف بمجموعة من المجالات من ضمنها أيضا الجانب الاجتماعي، حيث استغلت أموال الأوقاف كذلك في رعاية وإيواء الأطفال اليتامى واللقطاء والمتخلى عنهم، والأطفال المهملين، وذلك من خلال بناء الملاجئ باعتبارها إحدى المؤسسات التي تعنى بشكل كبير بالرعاية الاجتماعية للأطفال.

وقد اهتمت مؤسسة الوقف بتغطية جانب كبير من جوانب المتطلبات الاجتماعية، وساهمت أيضا في سد بعض الثغرات الاقتصادية التي يعاني منها الأطفال الفقراء، من خلال السعي إلى الاعتناء بهذا الجانب عن طريق تقديم عوائد الأموال الموقوفة تحقيقا لحياة كريمة لهم، وتوفير كل ما قد يحتاجونه من مستلزمات الحياة كالملبس والمأكل والمسكن وغيرها من أوجه البر التي تحقق الرعاية الاجتماعية للأطفال.

كما يعنى الوقف كذلك بالجانب الصحي وذلك عن طريق توفير خدمات صحية مجانية للأطفال وتوفير تبرعات لمعالجة الأمراض التي تصاب بها هؤلاء وتحقيق مجموعة من الضمانات الأخرى على مستوى الرعاية الصحية.

٣- دور مؤسسة الزكاة في الوقاية من الانحراف :

تعد الزكاة في الاقتصاد الإسلامي المؤسسة الأولى للضمان الاجتماعي في الإسلام والأداة الأولى من أوات التكافل الاجتماعي.

حيث تعتبر بمثابة تأمين إلهي ضد الجوع والمرض ومورد مالي من شأنه توفير سائر حاجات الحياة الضرورية، على أساس أن الهدف الأسمى من الزكاة هو تحقيق مستوى لائق للمعيشة، باعتبارها معونة دائمة ومنتظمة للفقراء وحق ثابت للمحتاجين والمساكين خاصة صغار السن منهم، مصداقا لقوله تعالى: **(إنما الصدقات للفقراء والمساكن والعاملين عليها والمؤلفة قولهم وفي الرقاب الغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله)** سورة التوبة الآية: ٦٠

فالإسلام تكفل من خلال نظام الزكاة بالإنفاق على الأيتام والاهتمام بمتطلباتهم وتوفير كل ما يضمن لهم حياة كريمة، ولا يقتصر دور الإنفاق في مجرد إشباع الحاجيات المعنوية فقط، بل يعتني أيضا بضمان تأهيلهم وتدريبهم وتطوير قدراتهم وتزويدهم بالدعم المادي وإعانتهم حتى يتمكنوا من الاعتماد على أنفسهم لا أن يمدوا يدهم ويتكففوا الآخرين.

فنظام الزكاة يساعد على توزيع الثروة ويساعد كذلك على ضمان حق المحتاجين ويحقق استفادة هذه الطبقة من المجتمع ويهتم بدخل العائلات الفقيرة حتى لا تضطر إلى أن تبعث بأطفالها إلى العمل مبكرا، وتحول دون تشرد هؤلاء الأطفال في الشوارع، وتساهم بذلك في تمتيعهم في القيام بأعمال إجرامية هم في غنى عنها ن خاصة إذا اعتقدنا أن الفقر يولد سلوكات غير مرغوب فيها وهذا من اجل سد حاجياته اليومية مما يضطر شعوريا أو لا شعوريا للقيام للأعمال الإجرامية والمهنية عليها شرعا لهذا دعا الإسلام في تحقيق التوازن الاجتماعي بين الطبقات لتخفيف التوتر والصدوع للمشاكل اليومية من خلال توفير أبسط الحقوق وهو ما يعكس العناية والرعاية التي أقرها الإسلام للأمة ويحقق التوازن الذي يسعى إليه.

من خلال ما سبق تتضح ملامح العناية والرعاية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية للمراهقين (مؤسسة الزكاة) وما مدى التوازن والتكافل الذي شرعه الله تعالى لعباده من خلالها الأمر الذي يدعونا إلى إعادة النظر في أحوال أبنائنا اليوم والمطالبة بتفعيل هذه المؤسسات لما تلعبه من دور فعال في تحقيق الأمن الاجتماعي والتخفيف عن مظاهر الإجرام بكل أشكالها.

كما لا تفوتنا الإشارة إلى نظام الحسبة كمؤسسة إسلامية جاء بها الإسلام تهدف إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يتجلى دورها في كون المحتسب يقوم بمراقبة النظام الاجتماعي ومعرفة ما إذا كان يقوم بأعماله بصدق

وأمانة مع مختلف الناس، كما يمكنه أن يأمر المراهقين ببعض الأعمال كالصلاة والابتعاد عن كل ما فيه ضرر له، ويكون ذلك بالكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة، كما يجوز للمحتسب إذا رأى سوء أخلاق من صبي أن يأمر وليه بتهذيبه وتربيته تربية حسنة.

الخاتمة:

ويتضح مما تقدم أن الدين ضرورة إنسانية تسعى إلى المحافظة على النظام الاجتماعي والتوافق معه، والمؤسسات الدِّينية كذلك تقوِّي الرابطة الاجتماعية، وتحقق للمجتمع وحدته من خلال إتباع الأوامر واجتناب النواهي. كما أنَّ التزام الأفراد في المجتمع بما يفرضه الدِّين من قواعد وضوابط للعقل والسلوك، وامتثالهم للأوامر والضوابط والنواهي بقدر ما تكون الرابطة بين الأفراد والجماعات أنضج وأقوى، وبذلك يشعر المجتمع بتماسكه وتلاحمه.

إن مسعى توفير وتحقيق الأمن المجتمعي أضحت ضرورة شرعية دلَّت عليها النصوص الشرعية وأوجبتها، فهي من مقاصد الشريعة، واتفقت على تحقيقها كل المجتمعات المدنية وسعت لذلك بكل الوسائل الممكنة، وقد غدت بعد إقامة الدولة في المدينة مؤسسة للأمن الاجتماعي في أمور شتى لاسيما المسجد والزكاة والوقف الذين أثبتوا مرة ثانية أنهم من أبرز المؤسسات الإسلامية لتحقيق الأمن على الصعيد الاجتماعي.

الهوامش: